

تاريخ القبول: 2025/05/20

تاريخ الإرسال: 2025/11/12

تاريخ النشر: 2026/05/23

السيمائية وإنتاج الدلالة في الخطاب الشعري المعاصر - مقارنة نقدية
لقصيدة (زورق النبض) للشاعر الجزائري أحمد العماري

Semiotics and the making of meaning in contemporary poetry: A critical reading of the poem (The Pulse Boat) by the Algerian poet Ahmed Al-Ammari.

¹ الدكتور أسامة لنصاري

جامعة أمين العقال الحاج موسى أوق أموك تامنغست (الجزائر)

مخبر الممارسات اللغوية والأدبية بمنطقة الصحراء الجزائرية وامتداداتها في منطقة الساحل
الإفريقي، جامعة تامنغست (الجزائر).¹

الإيميل المهني: lensari.ousama@univ-tam.dz¹

الملخص:

تندرج هذه الدراسة ضمن مجال القراءة السيميائية للأشكال الشعرية الجزائرية المعاصرة، فهي تقارب قصيدة (زورق النبض) للشاعر الجزائري أحمد العماري من ديوانه شريان الخلود، معتمدة على المنهج السيميائي في تحليل مستويات الدلالة داخل النص الشعري؛ وهدف الدراسة الأساسي هو تفكيك شفرات النص وملء فراغاته وإعادة إنتاجه من خلال أدوات المنهج السيميائي المعاصر. تنطلق الدراسة من إشكالية مفادها: كيف تسهم العلامات اللغوية والبنية السيميائية في تشكيل جمالية القصيدة العمودية الحديثة لدى الشاعر الجزائري أحمد العماري؟ أو بلفظ عكسي: إلى أي مدى تستنتق المقاربة السيميائية نص الشاعر الجزائري أحمد العماري لتفتح أمامنا آفاقا ودلالات عميقة لمنتوجه الإبداعي؟، وتعتمد المقاربة -بعد عرض الجانب النظري المقتضب حول السيميائية وإنتاج الدلالة في الخطاب الشعري- على مستويين تحليليين: الأول سيميائية العنوان؛ عبر بعده

الخارجي والداخلي، والثاني: سيميائية البنية الدلالية من خلال تحليل معجمي خارجي للعلامات اللغوية، ثم تحليل داخلي لبنيتها الرمزية العميقة، ثم استخلاص النتائج. **الكلمات المفتاحية:** مقارنة؛ الشعر الجزائري؛ زورق النبض؛ أحمد العماري؛ النقد السيميائي؛ القصيدة العمودية.

Abstract:

This study falls within the field of semiotic reading of contemporary Algerian poetic forms. It examines the poem (Zawraq al-Nabd) (The Pulse Boat) by the Algerian poet Ahmed Al-Ammari from his collection (The Artery of Eternity), The analysis adopts a semiotic approach to explore the levels of meaning within the poetic text. The main objective is to decode the poem's signs, fill its interpretive gaps, and reconstruct its significance using the tools of modern semiotics.

The study poses the following question: How do linguistic signs and semiotic structures contribute to shaping the aesthetic of the modern vertical poem in Ahmed Al-Ammari's poetry? Conversely, to what extent can semiotic analysis uncover new horizons and deep meanings in his creative output? After a brief theoretical overview of semiotics, the analysis proceeds on two levels: the semiotics of the title (external and internal) and the semiotics of semantic structure through external lexical and internal symbolic analyses, followed by key findings

Keywords: Semiotic Approach; Algerian Poetry; The Pulse Boat; Ahmed Al-Ammari; Semiotic Criticism; Classical Arabic Poem.

المؤلف المرسل: أسامة لنصاري: OUSSAMALANSARY@GMAIL.COM

1. مقدمة:

يعدُّ التحليل السيميائي اليوم أحد أبرز المسارات النقدية التي أعادت للنص الأدبي مكانته بوصفه نظاما دلاليا مركبا، تتفاعل داخله العلامات والرموز لتوليد المعنى. وقد أسهم هذا المنهج منذ نشأته في الفكر الغربي مع سوسير وبيرس في

فتح أفق جديد لقراءة النصوص الشعرية بعيدا عن المقاربات الانطباعية أو التفسيرية الضيقة؛ ليركز على آليات اشتغال العلامة داخل النص وعلاقتها بالبنية الكلية للخطاب الشعري. ومن ثم أصبحت السيميائية اليوم منهجا إجرائيا فاعلا في الكشف عن البنى العميقة للنصوص الشعرية؛ وفي إعادة بناء معمارها الدلالي على ضوء أنساقها اللغوية والرمزية.

وفي سياق الشعر الجزائري المعاصر الذي عرف تحولات جمالية ودلالية متسارعة تبرز الحاجة إلى قراءة نصوصه قراءة سيميائية تعيد النظر في طرائق تشكل المعنى، وتضيء العلاقة بين اللغة والإيقاع والرمز في القصيدة العمودية الحديثة. وبعد الشاعر أحمد العماري أحد الأصوات التي جمعت بين وفاء الشكل العمودي وروح الحداثة في التعبير، إذ جاءت قصيدته (زورق النبض) مثالا غنيا بالدلالات والرموز التي تتيح قراءة سيميائية متأنية قادرة على تفكيك شفرات النص وتتبع انزياحاته ومعمارها الداخلي.

من هنا تنطلق هذه الدراسة محاولة استكشاف الجماليات الخفية الكامنة في قصيدة (زورق النبض) من خلال أدوات التحليل السيميائي؛ بغرض الكشف عن كفاءات تشكل الدلالة الشعرية في نص يجمع بين الأصالة الشكلية والحداثة الرمزية. وتسعى الدراسة إلى تتبع العلامة في مستوياتها اللغوية والدلالية والرمزية؛ للكشف عن الدور الذي تؤديه في بناء النسق الجمالي والمعنوي للنص الشعري الجزائري المعاصر بما يسهم في إثراء مقاربات النقد السيميائي في البيئة الأدبية العربية.

2. السيميائية وإنتاج الدلالة في الخطاب الشعري:

إن مقارنة الشعر من منظور سيميولوجي تعد محاولة لتحرير النص من القيود الدلالية والتأويلية التقليدية التي فرضت عليه، وهي عملية ديناميكية تتسم بالتردد، تبدأ أولا من الشاعر نفسه؛ إذ يقوم بتحرير اللغة الشعرية من أنماطها المألوفة، بما يعكس مستوى من الإبداع الفني يختلف من شاعر إلى آخر. ويأتي بعد ذلك دور المتلقي الذي يواصل هذه العملية التأويلية عبر كل قراءة جديدة للنص؛ سواء جاءت من قراء متعددين أو من القارئ ذاته في سياقات زمنية مختلفة. وتكمن

خطورة هذا الدور في كونه يضع القصيدة دوماً أمام تحدٍّ تأويلي مفتوح؛ ما يجعلها عرضة لتعدد القراءات، وربما لتنازع الدلالات أيضاً.¹

يذهب سعيد بن كراد إلى أن السيميائيات في إطارها العام تعنى بدراسة السيرورة التي تقضي إلى إنتاج الدلالة؛ وهي بهذا المفهوم تتدرج ضمن التصور الغربي الذي يتبناه ويقول: "هي الفعل المؤدي إلى إنتاج الدلالات وتداولها"².

وهذا التصور يقوم على فكرة محورية وهي أن السيميائيات لا تهتم فقط بتحليل العلامات بوصفها وحدات معزولة، بل تركز على العملية الكاملة التي تنشأ فيها الدلالة وتنتقل من منتجها (المرسل) إلى متلقيها (المستقبل)، فالسيميائيات إذا ليست علماً ساكناً يبحث في معاني ثابتة، بل علم يرصد حركة المعنى وتحولاته، والمعنى بدوره ليس كامناً في النص فقط؛ بل في التفاعل بين النص والقارئ والسياقات الثقافية التي تحكم هذا التفاعل، وهي رؤية تقترب من التصور الغربي الحديث للسيميائيات، كما يتجلى عند مفكرين عدة كـ غريماس وإيكو، حيث يتم التركيز على الديناميكية التأويلية وليس على القواعد الجامدة، ويتفق معظم الباحثين على أن السيميولوجيا تعد علماً يعنى بدراسة أنساق العلامات وأنماط إنتاج المعنى داخل مختلف الخطابات فهي "العلم الذي يتناول الرموز، بقدر ما يتناول الإشارات، والبحث في علاقتها بالمعاني والدلالات المختلفة التي يمكن أن تشير إليها"³.

وتعرف عند باحث آخر على أنها: "العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات، أياً كان مصدرها، لغوياً، أو سنياً، أو مؤشرياً"⁴.

ومعنى ذلك أن السيميائيات هي العلم الذي يعنى بدراسة أنظمة العلامات بمختلف أشكالها ومصادرها، سواء أكانت لغوية منطوقة أو مكتوبة، أم علامات سننية (عرفية) قائمة على التوافق الاجتماعي، أم علامات مؤشيرية (مرتبطة بالسياق أو بالمحاكاة الطبيعية) تستمد دلالتها من السياق أو من العلاقات الطبيعية بينها وبين مدلولها؛ وتهدف إلى فهم كيفية إنتاج المعاني وتداولها داخل مختلف أشكال التواصل والخطابات الثقافية.

وتستند السيميائيات في دراستها للعلامة على مجموعة من العلوم والمعارف المجاورة؛ مثل اللسانيات، والبلاغة، والأسلوبية، والشعرية، وعلم النفس، وكما أن الأسلوبية تنفرع إلى أساليب، والشعرية إلى شعريات، فإن السيميائية بدورها تنقسم إلى عدة سيميائيات وفق تعدد المناهج والرؤى. وقد درج الباحثون على تصنيفها إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية: السيميائيات الأمريكية، والسيميائيات الفرنسية، والسيميائيات الروسية، لكل منها خصوصياته النظرية والمنهجية.⁵

وتمتاز كل واحدة من هذه الاتجاهات السيميائية بأصولها المعرفية الخاصة، ومناهجها التحليلية، وأدواتها الإجرائية التي تميزها عن غيرها. بل إن التباين لا يقتصر على اختلاف الاتجاهات فيما بينها؛ وإنما يظهر أيضاً داخل الاتجاه الواحد، إذ نلمس تبايناً واضحاً بين منهج غريماس السيميائي الذي يركز على البنية العميقة والدلالات المجردة؛ ومنهج رولان بارت الذي يميل إلى التحليل الثقافي والأسلوبي للخطاب، مما يعكس تنوع المقاربات داخل الحقل السيميائي نفسه.⁶

ينطلق التحليل السيميولوجي للنص الأدبي من فرضية مفادها أن كل نص يتكون من بنيتين مترابطتين: بنية ظاهرة تجسّد المستوى السطحي للخطاب، وبنية عميقة تشكّل الأساس الدلالي والتنظيمي له. ويعنى هذا المنهج بكشف العلاقات المتبادلة بين هاتين البنيتين، انطلاقاً من أن انسجام النص وتماسكه الدلالي إنما ينبع من بنية عميقة محكمة التركيب تُوجّه البنية الظاهرة وتضبطها.⁷

غير أن السيميولوجيين يختلفون في تحديد مكونات كل من البنية الظاهرة والبنية العميقة، مما أدى إلى انقسامهم إلى اتجاهين رئيسيين: يمثل الاتجاه الأول الذي يُعدّ غريماس أبرز رواده التصور النبوي الوظيفي، حيث يرى أن البنية الظاهرة تتكون من الصياغة التعبيرية ويعنى فيها المحلل بدراسة الخصائص الشكلية والأسلوبية للنص، كما يسمح هذا المستوى بفحص العلاقة بين اللغة والسياق الخارجي. أما البنية العميقة فتتضمن القوانين المنظمة للعالم السردى ويرتكز التحليل فيها على البنية الوظائفية من خلال دراسة العلاقات بين الفاعلين في مستويين:

عمودي (جدول الاختيار) وأفقي (جدول التوزيع)، بما يكشف البنية التحتية التي تؤسس المعنى وتوجّه البنية السطحية.⁸

أما الاتجاه الثاني فيرى أن البنية الظاهرة تتجسّد في البنى اللغوية الخاضعة للقواعد التركيبية والإبلاغية، أي ما يتعلق بالتنظيم النحوي والأسلوبي للنص. في المقابل تُفهم البنية العميقة على أنها تتكون من العوامل الخارجية التي تسهم في إنتاج النص الأدبي، سواء تعلق الأمر بالبعد الاجتماعي أو الثقافي أو النفسي. ويهدف هذا التوجه إلى تعميق التحليل السيميائي عبر إدماج المقاربات الاجتماعية والنفسية؛ مما يقربه من النقد الثقافي أو السوسولوجي. وتعد جوليا كريستيفا من أبرز المنظرين لهذا الاتجاه، من خلال مقاربتها التي تربط بين النص والأنساق المرجعية المحيطة به.⁹

ومهما تعددت المناهج وتنوعت الأدوات التحليلية في الدراسات السيميائية؛ فإن ما ينبغي التأكيد عليه هو خصوصية الخطاب الأدبي باعتباره فضاءً تتعدد فيه دلالات العلامة بتعدد السياقات والعلاقات التي تنسجها داخل النص. فالعلامة في هذا النوع من الخطاب لا تؤدي وظيفة ثابتة، بل تتشابه مع غيرها لتشكّل بنية دلالية مركّبة، إلى حد يمكن القول إن النص الأدبي هو شبكة من العلامات. وفي هذا السياق يذهب "ريفاتير" إلى أن: الحقل الأصلي للسيميولوجيا يتمثل في انتقال العلامات من مستوى معين من الخطاب إلى مستوى آخر، أي تصعيدها من دلالة مركبة في مستوى أول من القراءة، إلى وحدة نصية تنتمي إلى منظومة أكثر تطوراً. وكل ما يتعلق بانتقال العلامات من صعيد المحاكاة إلى مستوى أعلى من الدلالة يُعدّ من مظاهر السمطقة، وهذا يعني أن السيميائيات الأدبية لا تكتفي برصد العلامات في حدّ ذاتها، بل تتجاوز ذلك إلى تحليل تحولاتها ضمن نظام دلالي أوسع، يكشف عن عمق البناء النصي وتراكبه.¹⁰

إذن، "القراءة السيميولوجية للنص، في نهاية الأمر، تقوم على إطلاق الإشارات كدول حرة، لا تقيدتها حدود المعاني المعجمية، يصير للنص فعالية قرائية

إبداعية، تعتمد على الطاقة التخيلية للإشارة في تلاقي بواعثها مع بواعث ذهن المتلقي، وبصير القارئ المدرب هو صانع النص¹¹.

وعلى ضوء ما سبق التطرق إليه في الاقتباسات السابقة نخلص إلى أن المقاربة السيميولوجية تُعدّ مدخلاً حديثاً لفهم النصوص الأدبية خارج الأطر الدلالية التقليدية، إذ تنظر إلى النص بوصفه سيرورة دلالية ديناميكية تتولد فيها المعاني من خلال التفاعل بين المنتج والمتلقي، وتنتج العلامات دلالاتها عبر علاقات معقدة ضمن بنية ظاهرة وعميقة. وقد أبرز سعيد بنكراد أن السيميائيات تدرس عملية إنتاج الدلالة وتداولها، لا العلامة في ذاتها، وهو تصور يركز على الطابع الحركي للمعنى وتحوله وفق السياقات والقراءات. وتندرج السيميائيات ضمن علم شامل يُعنى بأنظمة العلامات بكل أشكالها اللغوية، والسنتية، والمؤشورية، مستفيدة من علوم متعددة كاللسانيات، والبلاغة، وعلم النفس. وتنقسم إلى اتجاهات مختلفة (أمريكي-فرنسي-روسي)، لكل منها مناهجه الخاصة، بل وتختلف المقاربات داخل الاتجاه الواحد، كما يتجلى في الفرق بين منهجي غريماس وبارث. ويعتمد التحليل السيميولوجي على كشف العلاقة بين البنية الظاهرة (الأسلوب والتركيب) والبنية العميقة (القوانين السردية أو السياقات الخارجية)، حيث يركز الاتجاه البنيوي على العلاقات الوظيفية داخل النص، في حين يهتم الاتجاه السوسيولوجي كما عند كريستسفال بالعوامل الثقافية والنفسية. ورغم هذا التعدد المنهجي، فإن ما يميز الخطاب الأدبي هو غنى علاماته وتعدد دلالاتها؛ ما يجعل النص شبكة دلالية مفتوحة تتجاوز المعاني القاموسية نحو أفق تأويلي رحب يشارك القارئ في بنائه، حيث تصبح كل قراءة فعلاً إبداعياً جديداً كما يرى ريفاتير وتغدو العلامة أداة لتصعيد المعنى نحو مستويات دلالية أعلى مما يمنح النص الأدبي بعداً تأويلياً متجدداً لا نهائياً.

3. الجانب التطبيقي: مقارنة نقدية لقصيدة (زورق النبض) للشاعر الجزائري أحمد العماري.

في هذا الجزء سنشرح في الجانب التطبيقي من هذه الدراسة والذي هو عبارة عن محاولة لقراءة سيميائية لقصيدة "زورق النبض"¹² من بحر (الخفيف) للشاعر الجزائري من مدينة إنغار أحمد العماري من ديوانه شريان الخلود:

زَوْرَقُ النَّبْضِ:

أُورُودٌ تَحَرَّكَتْ أَمْ خُرَامِي أَمْ شَمُولٌ تَلَاعَبَتْ بِالنَّدَامِي
أَمْ أَنَا سَتٌ بَلَابِلُ الشَّوْقِ غُصْنَا فِي فُؤَادٍ تَذَكَّرَ الْأَيَّامَا
فَتَرَاعَتْ كَأَنَّمَا مَرَّ طَيْفٌ جَفْنُهُ سَهْدُ الْجُفُونِ وَ نَامَا
لَا حَ وَجْهُ الْحَبِيبِ فِيهِ فَأَحْبَا كُلُّ رَاءٍ وَعَظْ عَمَّنْ تَعَامِي
ظَمِنْتُ أَحْرَفِي بِهِ فَتَلَقْتُ وَحْيَهَا مِنْ سَمَائِهِ إِلَهَامَا
شَارِحَاتٍ بِحَالِهَا رَوْعَةً أَفْرَأُ بَيْنَ سِحْرِ مَضَى وَ سِحْرِ أَقَامَا
مُنْذِرَاتٍ بِمُقْتَضَى "قُمْ فَأَنْذِرْ" كُلُّ مُسْتَقْسِمٍ بِهَا الْأَزْلَامَا
فَكَانَ الْحُرُوفُ أَهْدَابٌ لَيْلٍ نَعَسَتْ فَاسْتَفَرَّتِ الْأَحْلَامَا
مَاءٌ فِرْدَوْسُهَا الرُّوْيُ لَيْسَ يُرْوِي غَيْرَ صَبٍّ رَأَى الْحَبِيبَ فَهَامَا
عُلْمُ الطَّيْرِ مُنْطَقِي فِيكَ شَدْوًا فَتَهَجَّأَكَ صَحْوَةٌ وَ مَنَامَا
وَهُوَ يُلْقِي بِهِ لِأَطْرَافٍ سَمْعِي سُورًا بِالنَّقَاءِ تَمْحُو الظَّلَامَا
خَطٌّ لِلْأَنْبِيَاءِ فُرْقَانٌ طَهَ وَهُوَ فِي النُّورِ يَغْمِسُ الْأَفْلَامَا
مِنْ ضِيَاءِ اسْمِهِ تَوْضُأً غَارَ ثُمَّ صَلَّى بِالْعَالَمِينَ إِمَامَا
أَيُّهَا الْغَارُ أَنْتَ شُرْفَةُ غَيْمٍ كَيْفَ أَوَيْتَ مَنْ يُجِبِرُ الْعَمَامَا
أَنْتَ أَبْهَى نَبِيَّةٍ لِيَوْدَاعِ الْ حُزْنِ وَالْدَمْعِ فِي عُيُونِ الْيَتَامَا
هَاجَرْتَ نَحْوَكَ السَّرَائِرُ مَثْنَى وَفَرَادَى تُزْلِزِلُ الْأَصْنَامَا
فَإِذَا النَّصْرُ مَوْلَدٌ فَوْقَ صَدْرِ الْ أَبْجَدِيَّاتِ يَسْتَقِرُّ وَسَامَا
نَخْلَةُ الشَّوْقِ فِي دَمِي لَكَ طَالَتْ مَذْ سَقْتَهَا دُمُوعُكَ الْإِسْلَامَا
كَعْبَةِ الْبُوحِ يَا مَذَارَ اسْتِوَاءِ الرِّ رُوحِ هَلْ نَفْحَةٌ تُرْقِي الْمَقَامَا
مَا تَعَلَّنَتْ بِحُبِّكَ الرُّوحُ إِلَّا فَاضْ ثَغْرُ الدُّنَا عَلَيْهَا ابْتِسَامَا
يَا جَمَالًا بِهِ أَجْمَلُ شِعْرِي بَرَقَ مَعْنَاكَ لَا يَسُوقُ الْجَهَامَا

غَيْرَ أَنِّي مُفَوَّضٌ أَمْرَ قَلْبِي فِيكَ لِلْجَانِبِ الَّذِي لَنْ يُضَامَا
زُورِقُ النَّبْضِ لَمْ يَسْغُنِي فَأَعْبَا شَاطِئُ الْأُمْنِيَّاتِ فِيكَ الْكَلَامَا
فَأَمْتَحِنِّي بِغَيْرِ هَذَا وَ قُلْ يَا نَارَ هَذَا الْقُوَادِ كُونِي سَلَامَا.

1.3 سيميائية العنوان:

عند مقارنة أي نص أدبي من منظور سيميائي لا بد من المرور بمرحلتين أساسيتين: أولاً تحليل سيميائية العنوان بوصفه النص المصغر؛ وثانيهما تحليل سيميائية المتن الكامل أي النص أو القصيدة بوصفها الكلّ الدلالي. وأي قراءة تتجاوز هاتين المرحلتين أو تقصي إحداها يمكن أن تصنف قراءة مبتورة وقاصرة. وكما يشير أغلب الباحثين في مجال السيميائيات؛ فالعنوان يؤدي وظيفة محورية بالغة الحساسية تتمثل في تحديد أفق القراءة وإثارة الإيحاء فضلاً عن منحه النص قيمته الدلالية الأولى؛ فهو بمثابة خلاصة مركزة للفكرة الجوهرية التي يتمحور حولها النص وهو مفتاح تأويلي يستدعي الانتباه؛ وتفسيرا لهذا الطرح يقول عبد الملك مرتاض: "إن لعناوين الدواوين والقصائد.. أهمية سيميائية، تكوّن دلالتها جزءاً مهماً من مسار الفهم التأويلي لمدلول هذه العناوين على المستويين الجمالي والسيميائي معاً"¹³.

وفي سياق هذه المقاربة السيميائية؛ وانطلاقاً من كون العنوان يمثل العتبة الأولى للنص والموجه في الأساس لأفق التلقي، نلج عتبة قصيدة "زورق النبض" للشاعر أحمد العماري، من ديوانه شريان الخلود بوصفها نصاً مصغراً يختزن دلالات مركزة تمهد للولوج إلى البنية العميقة للقصيدة.

فالقراءة السيميائية للتوليفة زورق النبض لا تسعى إلى تفكيك المعنى السطحي للكلمات فحسب، بل تهدف إلى تفكيك شبكات العلامات والإيحاءات التي تحتويها هذه التوليفة من خلال استنباط البنى الدلالية الكامنة والعلاقات الرمزية التي ينسجها العنوان بين مفردتيه: (الزورق) و(النبض)، وما تختزنه من إمكانات قرائية وثقافية ونفسية.

إننا، إذ نشرع في تحليل هذا العنوان، نضع نصب أعيننا طبيعته المركبة وطاقته الإيحائية التي تفتح النص على احتمالات متعددة من التأويل، باعتباره يمثل بؤرة دلالية مكثفة تستبطن جوهر التجربة الشعرية، وتشير إلى مسارها الوجداني والمعرفي.

أ- الدلالة الخارجية للعنوان:

تحليل الدلالة الخارجية لعنوان زورق النبض يتمثل في محاولة تفكيك العلاقة بين المفردتين انطلاقاً من معجمهما الخارجي (السياق التداولي العام)، أي بعيداً عن النص الشعري ذاته، مع استحضار ما توحى به الكلمتان في الثقافة العامة، والطاقة الرمزية التي تختزنها كل مفردة على حدة، ثم العلاقة التمثيلية أو المجازية الممكنة بينهما.

• المفردة الأولى: (زُورِقُ): من المعجم الوسيط مادة (زَرَقَ) يقول: "الرُّورُقُ: القاربُ يُدْفَعُ بالمجاديف، أو بالآلة؛ ج زوارق"¹⁴؛ وهذا ما نجده في السياق المعجمي والثقافي المتداول والذي لا يغيب عن عاقل: الزورق هو وسيلة نقل مائية صغيرة تستخدم للإبحار في الأنهار أو البحار. ويرتبط الزورق دلالياً بالانتقال، والمغامرة، والسفر، والانسحاب، وأحياناً بالنجاة والهروب، وهو رمز كثير الحضور في الأدب خاصة في سياق رحلات والنتيه والبحث عن الذات والخلص.

• المفردة الثانية: (النَّبْضُ): من المعجم الوسيط مادة (نَبَضَ) يقول: "النَّبْضُ: ضربات الشرايين من انقباضات القلب، يستدل بها على حالة الجسم من صحة ومرض. يقال جَسَّ الطبيب نبضه. ويقال فلان نبض الفؤاد: ذكي متوقّد."¹⁵.

وهذا ما نجده في استخدامنا المتداول فالنبض هو دالٌّ بيولوجي يشير إلى حركة القلب والحياة، وهو مرادف للإحساس والعاطفة والحيوية والوجود، ويستخدم مجازاً في الأدب للإشارة إلى المشاعر والانفعال والشعر أو للإشارة إلى كل ما ينبض بالحياة والصدق.

• العلاقة الدلالية الخارجية بين المفردتين:

عند جمع الكلمتين في توليفة أو تركيبية مجازية لتصبح (زورق النبض)، - وهنا أسردُ تأويلي الشخصي- حيث أرى بأن العنوان يفتح على دلالة شعرية رمزية فيها تجسيد وتشخيص ركب فيه الشاعر بين مصطلح محسوس يدرك بالحواس فيرى ويلمس ومصطلح معنوي لا يدرك إلا بالشعور؛ ومن هنا (النبض) -أي الإحساس أو العاطفة أو الحياة- صار له زورق، أي وسيلة انتقال، وكأن الشاعر يجعل من إحساسه جسداً يتحرك فيبحر ليغامر، الزورق هنا يمكن أن يفهم على أنه وسيلة لحمل المشاعر، أو ربما القصيدة ذاتها التي تنقل نبض الشاعر إلى المتلقي.

بهذا التركيب تتحول القصيدة نفسها -بوصفها بناءً لغوياً- إلى زورق يبحر في محيط من المشاعر، أو ربما إلى وعاء يحمل الحياة الداخلية نحو الخارج. في الدلالة الخارجية: يرمز العنوان (زورق النبض) إلى تجسيد الإحساس والعاطفة (النبض) في شكل مادي متحرك (الزورق)، مما يشي بتوجه شعري حيوي يجعل من الإحساس محركاً للنص، ومن اللغة وسيلة لعبور التجربة الذاتية نحو الآخر؛ فالعنوان بذلك يشحن القصيدة منذ البداية بطابع وجداني حركي، ويهيئ المتلقي لرحلة تأملية عبر أمواج الإحساس الإنساني.

ب- الدلالة الداخلية للعنوان:

• البنية التركيبية:

بداية نبعث عن تقدير الكلام فنجد أصل الكلام: (هذا زورق النبض) وفي إعرابه نقول: زورق: خبرٌ لمبتدأ محذوف مرفوع بالضمة الظاهرة وهو مضاف. النبض: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة.

وبالتالي نفهم أنه يتألف من تركيب إضافي مكون من: زورق (مضاف): وهو وسيلة مائية صغيرة، ترمز غالباً إلى وسيلة تنقل هادئة، وقد تكون معرضة للاضطراب بفعل الأمواج. والنبض (مضاف إليه): وهو إشارة إلى الإيقاع الحيوي وفق القلب ورمز الحياة الداخلية والانفعال العاطفي.

وهذا التوليف يولّد دلالة مجازية ترمز إلى الذات المتنقلة على أمواج الشعور، أو إلى الوجدان وهو يبحر في أعماق التجربة الروحية والشعرية.

• علاقة العنوان بالنص الشعري:

من خلال تأمل النص نلاحظ أن العنوان (زورق النبض) يمثل مفتاحاً تأويلياً للقصيدة كلها ويمكن تحليل دلالاته الداخلية من خلال الجوانب الموضحة في الفقرات الآتية:

- القصيدة بوصفها رحلة وجدانية وروحية: إذ نلاحظ أثناء قراءتنا لمعظم أبياتها، حضور أسلوب التذكر والتهيج والبوح الصوفي وكلها دوالاً تسافر في أزمنة الوجدان، وهنا يكون (زورق النبض)، هو هذا الصوت الداخلي للذات الشاعرة الذي ينقلها عبر موجات الشوق والحنين والرؤيا والتقديس؛ فهو وسيلة عبور بين المشهد الشعري والعاطفة الكامنة خلفه.

- النبض رمزاً للإلهام والإبداع: توظيف مصطلح النبض في القصيدة ليس توظيفاً بيولوجياً لوصف حالة شعورية عابرة فحسب بل هو مرادف للإلهام الشعري ولوحي الكلمات وللاتصال العلوي بين الشاعر ومصدر إلهامه.

- القصيدة رحلة صوفية عبر الزمان والمكان: في النص استدعاء صريح للغار وللوحي وللأنبياء ولجبال مكة وللسور القرآنية؛ ما يجعل من مفردة العنوان (النبض) في النص نبضاً نبوياً روحياً صاعداً ومن مفردة (الزورق) مجازاً عن الشعر أو القلب أو التجربة الروحية، والنص غني بالإشارات التي توحى بأن الشاعر يخوض رحلة عروج ذاتي حيث القصيدة بمثابة الزورق والنبض هو دفق العرفان الشعوري والمعرفة الروحية.

- إعادة تأويل العنوان في نهاية القصيدة: لما يقول الشاعر:

زورق النبض لم يسعني فأعيا *** شاطئ الأمنيات فيك الكلاماً

فامتحنني بغير هذا وقل يا *** ناز هذا الفؤاد كوني سلاماً

في نهاية القصيدة يتم استرجاع العنوان حرفياً لكن بنبرة انهيار تعبيرية حيث يعترف الشاعر أن هذا الزورق الشعري لم يعد يكفي لاحتواء فيض النبض والمشاعر؛ وأن الشاطئ المنشود (الأمنيات-السكينة-التجلي) لا يزال بعيداً أو صامتاً.

وهنا تتجلى سيميائية العنوان بوصفه مرآة للصراع الداخلي بين طاقة البوح وضيق الوسيلة، وبين رغبة الروح وقيود اللغة.

ومن ثم: (زورق النبض) على المستوى الداخلي هو رمز مركزي يحيل إلى القصيدة بوصفها مَرْكَبًا رُوحِيًّا وشعريًّا يبحر في محيط الذات والعالم؛ والنبض كإيقاع وجداني وصوفي يولّد القصيدة ويحركها؛ واللغة وسيلة لكنها عاجزة أمام التجربة. فالعنوان يختزل التجربة الشعرية الكاملة للشاعر أحمد العماري، ويكثّف في صورته المجازية الرحلة الجمالية من الذات نحو المطلق، ومن الواقع إلى الحلم، ومن الضيق إلى التطلع، وهو ما يعكس بنية القصيدة ذاتها.

2.3 سيميائية البنية الدلالية:

المقاربة الدلالية بين العنوان والنص تقوم على ربط المعنى الكلي للعنوان بالمضامين المركزية التي تشكل بنية النص ودلالاته الجوهرية، وذلك بالبحث عن التناسق بين دلالة العنوان ودلالة المتن، وهو ما يبرز التداخل الفني والدلالي بين العتبة والعنصر الداخلي للنص؛ وفي هذا السياق يمكن الحديث عن مقارنة دلالية بين عنوان القصيدة (زورق النبض) ونصها الشعري في الفقرات التالية:

العنوان مفتاح دلالي: الزورق يوحي بالرحلة وبالحركة فوق سطح مائع ويدل على العبور في فضاء غير ثابت وهو هنا وسيلة رمزية للإبحار في المشاعر؛ والنبض يرمز للحياة والعاطفة والإحساس ويستعمل كثيرا في التعبير عن التفاعل الوجداني والانفعالي، وبهذا يكون العنوان يحمل دلالة الإبحار في العاطفة والوجدان، ويحمل دلالة السفر الداخلي في بحر الأحاسيس؛ فالعنوان يتشكل في استعارة مكنية: النبض (شيء معنوي لا يدرك بالحواس) تم تجسيده وجعله يركبُ زورقًا، فصار للوجدان وسيلة للسفر، ما يخلق إيحاءً شعرياً يجعل من النص نتيجة لهذا الإبحار العاطفي.

موضوعات النص وذويان العنوان فيه: إذا تتبعنا مسار القصيدة، وجدنا أنها تقوم على تدفق شعوري وجداني وصوفي غني بالحب والمرجعية الدينية، تنتقل فيه الذات الشاعرة بين عاطفة الشوق والحنين إلى الغيب والمطلق والتعلق الروحي بنور

النبوة والوحي والتجلي الحسي للروح في توليفات الشاعر وتركيباته، وهذا كله يؤكد أن النبض في لعنوان هو نبض الذات الشاعرة والقصيدة بأكملها زورق تعبيري يقطع عباب العاطفة المتدفقة والروح الهائمة.

تجسيد العنوان في النص: يتجسد عنوان القصيدة زورق النبض داخل النص في صورة رمزية تعبر عن فيضان المشاعر وضيق اللغة عن احتوائه، خاصة في البيت ما قبل الأخير الذي يمثل ذروة المعنى؛ فالقصيدة بأكملها رحلة وجدانية وروحانية تجمع بين الشوق والعشق الإلهي والجمال الحسي والنور الغيبي والماضي والأمل؛ ويختزل العنوان هذا المسار الرمزي إذ يشكل عتبة دلالية تعبر عن سفر الروح والذات في عوالم الوجدان، مما يجعل العلاقة بين العنوان والنص عضوية ومتكاملة.

3.3 سيميائية البناء الخارجي للعلامات اللغوية المستعملة (التحليل المعجمي):

يركز التحليل المعجمي في قصيدة (زورق النبض) على دراسة البنية الظاهرة للكلمات من حيث التكرار والحقول الدلالية والانزياحات للكشف عن البعد السيميائي للعلامات اللغوية وبناء المعنى؛ تتوزع المفردات ضمن أربعة حقول معجمية رئيسية:

الحقل الحسي/ الطبيعي: يعكس علاقة الشاعر بالطبيعة وتعبيره عن وجدانه عبر صور حسية.

الحقل الديني/ القدسي: يمنح التجربة الشعرية بعدا روحانيا يربط الذاتي بالمقدس.

الحقل الوجداني/ الشعوري: يكشف عن البوح والانفعال الداخلي للذات القلقة.

الحقل الفني/ البياني: يبرز وعي الشاعر بالكتابة ويجعل القصيدة تأملا في فعل الإبداع نفسه.

كما يتجلى التكرار في كلمات محورية مثل (الروح؛ الفؤاد؛ الوحي) ليكثف المعنى الرمزي ويظهر الانزياح المعجمي توظيفا مجازيا يضيف عمقا دلاليا مثل: (نخلة الشوق) في البيت 18، و (كعبة البوح) في البيت 19.

أما التوازي المعجمي في تراكيب مثل: (سحر مضى وسحر أقاما) في البيت 06، فيمنح النص إيقاعا داخليا وجدلية بين المتقابلات.

وعموما يظهر أن المعجم في القصيدة ليس أداة للتعبير فحسب؛ بل شبكة رمزية متكاملة توظف الطبيعة والدين والعاطفة واللغة الرمزية الواسعة لتجسيد رحلة الذات نحو الكشف والبوح

4.3 سيميائية البناء الداخلي للعلامات اللغوية (البنية العميقة للنص):

لا شك أن الدلالة المعجمية للعلامات اللغوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسياقها النصي أو الخطابى، إذ قد تتطابق في بعض الأحيان، بينما تختلف في أحيان أخرى، وهو الغالب.

وحين توضع هذه العلامات داخل نسيج النص، فإنها تتحول من كونها وحدات معجمية ثابتة إلى علامات توليدية دلالية لا متناهية، تُحيل إلى معانٍ ضمنية أو صريحة. وفي هذا التحول، تكتسب العلامات الاعتبارية طابعاً أيقونياً عبر آليات المجاز والاستعارة والانزياح، كما تصبح مؤشرات على حالات شعورية أو دلالات فكرية يطمح المبدع إلى إيصالها¹⁶.

وحتى نتمكن من استكشاف دلالات العلامات داخل نسيج النص، لا بد من القيام بخطوة إجرائية أولى تتمثل في تحديد المقاطع التي يتمفصل بها النص.

وتُعد عملية التقطيع هذه أمراً منهجياً أساساً، لأنها تتيح إحكام السيطرة على النص أثناء التحليل، وتمكننا من التعرف على مكوناته الشعرية عبر تتبع المقاطع المختلفة، مما يسهم في قراءة أكثر دقة وتنظيماً لبنيته الدلالية.¹⁷

لكن لا ننسى أن هذه العملية الإجرائية ليست بسيطة، فهي تتطلب معياراً ملائماً ينسجم مع الجنس الأدبي ونوعه.

قد حدد غريماس (Greimas) مفهوم "المقطع" في إطار دراسته لبنية الحكاية بأنه: "كل مقطع سردي قادر على أن يكون بمفرده حكاية مستقلة، وأن تكون له غايته الخاصة به، لكن يمكن أن يدرج ضمن حكاية أعم، وأن يؤدي وظيفة خاصة"¹⁸.

وقد أشار إلى ذلك الناقد الأديب عبد الله الغذامي بقوله: "وستنظر النصوص مفتوحة كإمكانيات لمعان لم تأت بعد، حسب مفهوم "الابستمولوجيا" التكوينية الذي يؤكد على أنه ليست هناك قضايا فارغة من المعنى وإلى الأبد، بل هناك -فقط- قضايا فارغة من المعنى حالياً، بمعنى أنه قد يأتي يوم يكشف فيه العلم عن معاني هذه القضايا، لأن المعرفة ليست نهائية، بل هي تنمو، وتعدل، وتتطور باستمرار"¹⁹.

وقد أجرينا تحليلاً تطبيقياً على قصيدة (زورق النبض)، من خلال رصد البنية العميقة للعلامات وتفكيك المعاني التي تتولد منها عبر آليات المجاز، والاستعارة، والانزياح الدلالي، وتحديد المقاطع الدالة التي يتم فصل بها النص. أولاً: تحديد المقاطع الدلالية (التمفصل النصي): يمكن تقطيع القصيدة إلى أربع وحدات دلالية كبرى:

• مقطع الانكشاف الشعوري (الأبيات 1-6):

يتضمن هذا المقطع علامات لغوية تصف لحظة الانفعال الوجداني وانبعاث الذكرى، حيث تهيمن استعارات من الطبيعة والوجد مثل:

أورود تحركت أم خزامى أم شمولٌ تلاعبت بالندامى ؛ بلابل الشوق؛ جفنه
سهّد الجفون وناما

هذه الصور تتجاوز دلالتها المعجمية إلى دلالات شعورية، توحى بالحنين، والتذكّر، والقلق الداخلي.

• الوحي الشعوري والرؤيا الجمالية:

تنتقل اللغة من الحسي إلى الرؤيا المعنوية فالحروف تُجسّد بوصفها كيانات حية تتلقى الإلهام و الوحي: ظمئت أحرفي به فتلقّت وحيها؛ من ضياء اسمه توضاً غار.

هنا تتجاوز العلامات اللغوية معناها القاموسي، ف"الوحي"، و"السماء"، و"الفرقان"، تحيل إلى تجربة شبه نبوية للذات الشاعرة. تتحول اللغة إلى بنية صوفية، مشحونة بالرؤى القدسية.

• التجلي المقدس ومحاورة الذات الإيمانية:

نقرأ فيه تكتيفاً للصور ذات البعد الديني والروحي: أيها الغار أنت شرفة غيم كيف آويت من يجيز الغماما؛ كعبة البوح يا مدار استواء الروح. هذه العبارات تتضمن علامات أيقونية تحيل إلى رموز الإسلام، من خلال الغار، الكعبة، والنصر، في حين أن "شرفة غيم" و"مدار استواء الروح" هي مجازات كونية، تشير إلى الارتقاء الروحي واستيعاب المطلق.

• انكسار ذاتي واستسلام للمعنى:

يختم الشاعر بعودة إلى ذاته المنكسرة أمام عظمة المعنى:
 زورق النبض لم يسعني فأعيا * شاطئ الأمنيات فيك الكلاما
 فامتحنني بغير هذا وقل: يا * * نار هذا الفؤاد كوني سلاما
 العلامات هنا تكشف عمق التجربة الوجودية، إذ تتحول من وصف خارجي إلى انزياح دلالي يلامس التوراة والقرآن في استعارة "يا نار كوني سلاما".
 ثانيًا: تحليل البنية العميقة للعلامات اللغوية: نلاحظ أن أغلب العلامات في القصيدة تحولت من معناها الأصلي إلى شبكات دلالية توليدية، من أبرزها:
 - الانزياح المكثف في بنية الجمل، حيث لا تُستخدم الكلمات بمعناها القاموسي: زورق النبض ليس وسيلة نقل حسي، بل مجاز عن الذات المنفعلة بالحب أو التجلي؛ "خلة الشوق في دمي لك طالت" توظيف نباتي للدلالة على عمق التعلق والارتواء الوجداني.

- الأيقونات الدينية والتاريخية: (الغار، الفرقان، كعبة البوح) لا ترد بوصفها مرجعيات عقائدية فقط، بل تتخذ طابعاً تأويلياً يجعل من الذات الشاعرة حاملة لهم روح ووجودي، مما يحول العلامة من ارتباط إلى أيقونة رمزية.
 - التركيب الدلالي بين الطبيعة والحس الديني، مثل: من ضياء اسمه توضحاً غار: تركيب ينقل الغار من كونه مكاناً إلى ذات متعبدة، ومن الضوء إلى نور الوحي.

ومن ثم فإن البنية الداخلية لعلامات النص في "زورق النبض" لا تقف عند حدود المعجم، بل تتزاح لتولّد دلالات متناصلة، تتشابك فيها المشاعر، والرؤى، والدين، والطبيعة، واللغة. وبهذا، تتحول القصيدة إلى بنية سيميائية توليدية، يتخذ فيها المعجم وظيفة إيحائية، تخرج منها معاني لا نهائية، عبر مجازات وانزياحات تبني عالماً شعرياً داخلياً غنياً بالجماليات.

4. خاتمة:

خلصت هذه الدراسة السيميائية في قصيدة (زورق النبض) للشاعر أحمد العمري إلى أنّ العلامة اللغوية في النص الشعري ليست عنصراً شكلياً معزولاً، بل هي كيان دلالي متكامل يسهم في بناء المعنى وتشكيل الرؤية الشعرية. فالإشكالية التي انطلقت منها الدراسة - والمتمثلة في كيفية تشكّل الدلالة داخل النص عبر البنية المعجمية والإيقاعية والرمزية - وجدت إجاباتها من خلال التحليل الذي أبرز تفاعل العلامات وتكاملها داخل نسيج القصيدة.

وقد أظهرت النتائج أن المعجم الشعري في النص يمارس وظيفة سيميائية مزدوجة: فهو من جهة يعبر عن التجربة الذاتية والروحية للشاعر، ومن جهة أخرى يؤسس شبكة رمزية متداخلة تربط بين الحقول الدلالية الطبيعية والدينية والوجدانية والفنية، لتكوّن جميعها أفقاً تأويلياً مفتوحاً. كما بيّن التحليل أنّ التكرار والانزياح والتوازي المعجمي تشكل آليات فاعلة في توليد المعنى وتكثيف الرمزية، مما يجعل القصيدة فضاءً دلاليّاً متعدد الطبقات يتجاوز البعد التعبيري إلى البعد التأويلي.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إنّ المنهج السيميائي مكن من الكشف عن البنية العميقة للنص وعن آليات اشتغال العلامة الشعرية في إنتاج الدلالة. فـ (زورق النبض) ليست مجرد قصيدة وجدانية، بل رحلة لغوية ورمزية تعكس تجربة الذات في سعيها نحو التوحد والتطهر عبر اللغة، وتؤكد في الآن ذاته أن المعنى في الشعر يتولد من التفاعل المستمر بين الكلمة والرمز والسياق.

5. المراجع

- ¹ - ينظر، عبد الله الغدامي، تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، ط2، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي 2006م؛ ص 18-19.
- ² - سعيد بن كراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار للحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط3، 2012، ص13.
- ³ - عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر، محافظة المنيا مصر، د.ط، 2003م، ص17-18.
- ⁴ - محمد السرعيني، محاضرات في السيميولوجيا، ط1، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة، 1987م، ص5.
- ⁵ - ينظر، المرجع نفسه؛ ص55.
- ⁶ - ينظر، فاتح علاق، التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر - مستوياته وإجراءاته، مجلة جامعة دمشق، 2009م، مج 5، (ع1+2)، ص149 - 150.
- ⁷ - ينظر، عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، 2003م، ص44.
- ⁸ - ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ⁹ - ينظر، المرجع نفسه، ص45.
- ¹⁰ - ينظر، فاتح علاق، التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر، ص151.
- ¹¹ - عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، 2003م، ص61.
- ¹² - ينظر، أحمد العماري، شريان الخلود-ديوان المدائح النبوية-، ط01، 2023م، روائي للثقافة والإعلام - طبع بدعم من وزارة الثقافة والفنون - الجزائر، ص54-56.
- ¹³ - عبد المالك مرتاض، قضايا الشعرية، متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصرة، ط1، وهران، الجزائر، دار القدس العربي، 2009م، ص324.
- ¹⁴ - معجم الوسيط، إشراف شوقي ضيف وآخرون، مجمع اللغة العربية، ط4، جمهورية مصر، مكتبة الشروق الدولية، 2004م، مادة (زَرَقَ)، ص393.
- ¹⁵ - نفسه، مادة (تَبَضَّ)، ص897.
- ¹⁶ - ينظر، حسن مزدور، المرسلات الشعرية: من اعتبارات العلامة اللغوية إلى الأيقونة، مجلة التبيين، 2007م، ع27، ص50.
- ¹⁷ - ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁸ - المرجع نفسه، ص51.

¹⁹ - عبد الله الغدامي، تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة 2006م، ص113.